

من كتاب «الديارات» للشابشتي

« هذا كتاب جليل ، يُعدّ في نظرنا من المصادر ذات الشأن . ألقه الشابشتي
« المتوفى سنة (٣٨٨ هـ) كما يقول ابن خلكان ، وكان نديم العزيز
« العيادي وصاحب كتبه ، حقهناه وعلقنا عليه ، معتمدين على نسخة
« مخطوطة فريدة كتبت سنة ٦٣١ هـ ، كان العلامة الجليل الأستاذ
« محمد كرد علي ، أتى بنسخة مصورة عنها إلى خزنة المجمع العلمي
« العربي بدمشق »

« وهاك أعمق زجات منه : »

(١)
دير سمالو

(وصفه)

وهذا الديرُ شرقي بغداد ، بباب الشماسية ، على نهر المهدي . وهناك أرحية
للماء ، وحوله بساتين وأشجارٌ ونخلٌ ، والموضع تزه حسن العمارة أهل بمن يطرقه ،
وبمن فيه من الرهبان .

وعيد الفصح ببغداد فيه منظر عجيب ، لأنه لا يبقى نصراني إلا حضره
وتقرّب منه ^(٢) ، ولا أحد من أهل الطرب واللبو من المسلمين إلا قصده للتنزه
فيه . وهو أحد متزهات بغداد المشهورة ، ومواطن القصف المذكورة .

(١) في الأصل [سمالوا] والصواب ما أثبتنا . وقد دعي هذا الاسم نسبة إلى إحدى مدن الحدود
الأرمينية التي افتتحها الرشيد في غزوة عام ١٦٣ هـ (٧٨٠ م) . وقد أمر الخليفة بتهجير أهل هذا
الموضع إلى بغداد ، فحلوا في الأراضي الكائنة في شمال بغداد الشرقي ، حيث شيد هذا الدير الذي أطلق عليه
اسم موطنهم الأصلي (أنظر الترجمة العربية لكتاب :

Le Strange : Baghdad during the Abbasid Caliphate (oxford, 1924)
بغداد في عهد الخلافة العباسية من ١٧٦) وكان خرباً زمن صاحب مرصد الإطلاع . (المرصد ص ٢٣٢ ج ١
طبعة جونيل) نجد أخبار هذا الدير في معجم البلدان لياقوت : ج ٢ : ٦٧٠ و ج ٣ : ٢١٦ « طبعة أوروبا » ،
وفي مسالك الأبحار للمعري ص ١٢٥ ، وفي مرصد الإطلاع ج ١ : ٢٣٢

(٢) يمكن ان تكون [فيه] بمعنى تقرب الى الله فيه

(شعر قيل فيه)

ولمحمد بن عبد الملك الهاشمي فيه :

ولرُبّ يوم في سمالو تم لي
وأخـ يشوب حديثه بحلاوة
جعل الرحيق من المدام شرابه
بكرت عليّ به الزيارة فاغندي
فأمرت ساقينا وقلت له استقنا
فتلاعبت بعقولنا نسوانه
حتى حسبت لنا البساط سفينة
والدير ترقص حولنا حيطانه

وخلد الكاتب فيه :

يامنزل القصف في ممالو
واهاً لأيامك الخوالي
تلك حياة النفوس حقاً
وكلي ما دونها محالاً

(خالد الكاتب)

وهو ابو الهيثم خالد بن يزيد الكاتب^(٢) . وكان مليح الشعر رقيقه . لا يقول إلا في
الغزل ، ولا يجاوز الأربعة أبيات ولا يزيد عليها ولم يكن له شعر في مدح ولا هجاء .^(٣)

(١) في مسالك الأبحار ص ٢٧٥ « فيه التعم وغيت أحزانه »

(٢) سماء في معجم الأدباء ج ١١ ص ٤٧ (طبعة الرفاعي) خالد بن زيد وهو خطأ . انظر
الأخاني ج ٢١ (طبعة ساسي) ، وتاريخ بغداد ج ٨ ، والوافي بالوفيات ج ٤ قسم ٢ .

(٣) هذا ما يقوله الشابستي . والعجيب اننا وجدنا له شعراً في المدح وفي الهجاء . فلقد هجا أبا تمام
(الأخاني ١٩ : ٣١) وكان هجاؤه هذا بلا عليه . أما المديح ، فقد عثرنا له في ديوانه المخطوط الموجود في
دار الكتب الظاهرية ، ذي الرقم ١٢ شعر (الذي نحققه الآن) ، على خمس قصائد الأولى في ثلاثة
وعشرين بيتاً يمدح بها الحسن بن وهب الكاتب ومظلمها :

يا وجه أحسن من يمني على قدم . . .

والثانية في ثلاثة وأربعين بيتاً يمدح بها محمد الزيات . . . أولها

أناب وأقصر عن جملة . . .

والثالثة في تسعة عشر بيتاً يمدح بها محمد بن عيسى بن جعفر ، ومظلمها : —

(خالد الكاتب وابن الأعرابي)

وذكر ميمون بن حماد قال : دخل عليّ يوماً أبو عبد الله بن الأعرابي فقلت له : يا أبا عبد الله ، سمعت من شعر هذا العليم شيئاً . . . ؟ قال : ومن هو ؟ قلت : خالد ابن يزيد . قال : لا ، وإني لأحب ذلك فصح به ؛ فجاء حتى وقف . فقلت أنشد أبا عبد الله شيئاً من شعرك ، فقال : إنما أتول في شجون نفسي ، لا أمدح ولا أهجو . فقلت انشده . . . فأشده :

أقولُ للسقمُ عدوٌّ إلى بدني حباً لشيءٍ يكون من سببك
قال ابن الأعرابي : حسبك يا غلام ، فقد خيل إليّ أن الرقة قد جمعت لك
في هذا البيت ! .

(خالد الكاتب وابن المهدي)

قال جحظة : حدثني خالد الكاتب قال : لم أشعر إلا ورسول إبراهيم بن المهدي قد وافاني . فدخلت إليه^(١) فاذا برجل أسود مشفراني قد غاص في الفرش . فاستجسني فجلست . فقال أنشدني من شعرك ، فأنشدته :

رأت منه عيني منظرين كما رأت من البدر والشمس المضيئة بالأرض^(٢)
عشيةً حياناً بوردي كأنه خدودٌ أضيفت بعضهم إلى بعض
وناولني كأساً كأن رضاها دموعي لما صد عن مقلتي غمضي^(٣)
وولّى ، وفعل السكر في حر كاته من الراح ، فعل الريح بالفصن الغض^(٤)

— عينٌ بها من دمها كحلٌ . . .

والرابعة في أربعة أبيات يمدح بها محمد بن عيسى أيضاً أولها :

في قريش فتى فخير الجود . . .

والخامسة في أربعة أبيات يمدح بها محمد بن موسى أولها

بذلُ ابنِ موسى فوق تأمله . . .

(١) كذا في الأصل ، وفي مسالك الأبحار [فذهبت إليه] (٢) في زهر الآداب ٢ : ١٣٩

(الرحمانية) . . . [من الشمس والبدر النير على الأرض] (٣) في زهر الآداب ٢ : ١٣٩

(الرحمانية) [ونازعني كأساً كأن حياها] وهو أعذب (٤) في زهر الآداب ٢ : ١٣٩ (الرحمانية)

« وراح وفعل الراح في حر كاته كفعل نسيم الريح بالفصن الغض »

فزحف حتى صار في ثلثي المصلى ، ثم قال : يا بني ! شبه الناسُ الحدودَ بالورد ،
وشبهتَ أنتَ الوردَ بالحدود ٠٠ ! زدني ، فأشدته :

عابت نفسي في هواك م فلم أجدها تقبلُ
وأجبت داعيها اليك م ولم أطع من يعذل^(١)
لا والذي جعل الوجوه م لحسن وجهك تمثل
لا قلت إن الصبرَ عند م ك من التصابي أجمل

فزحف حتى صار خارج المصلى . ثم قال زدني . فأشدته :

عش فحببتك سريعاً قاتلي والضي ان لم تصلني واصلي^(٢)
ظفر الحب بقلب دنفٍ بك والسقمُ يجسم ناحل^(٣)
وبكى العاذل لي من رحمة فبكائي لبكاء العاذل^(٤)

فصاح وقال : يا بليق^(٥) ! كم لي معك (من العين)^(٦) قال : ستاية وخمسون^(٧)
ديناراً ، قال : اقسما بيني وبينه ، واجعل الكسر كاملاً للغلام .^(٨)

(خالد الكاتب وابن صدقة المغني)

وذكر أحمد بن صدقة المغني قال : اجتزت بخالد الكاتب يوماً فقلت له « اعمل
لي ابياتاً أغني فيها أمير المؤمنين ، يعني المأمون . قال : « فأبيُّ حظ لي من ذلك ٠٠ ؟
تأخذ أنت الجائزة ، وأحصل أنا على الأثم ٠٠ ! » فحلفت له إنه إن وصلني بشيء

(١) في الأغاني [ج ٣١ ص ٣٣] « وأطعتُ داعيها إليك ٠٠٠ » وفي مسالك الأبصار
ص ٢٧٦ [ولم أجب من يعذل]

(٢) في مسالك الأبصار ص ٢٧٦ : « والهوى إن لم تصلني واصلي » ورواية الشابشي أصح

(٣) كذا في الديوان المخطوط . وفي الأغاني (٣١ - ٣٢) :

« ظفر الشوق بقلب دنفٍ فيك والسقمُ يجسم ناحل »

(٤) في مسالك الأبصار ص ٢٧٦ : « فبكائي من بكا العاذل » . وبعد هذا في الديوان .

فها بين اكتئاب وضئى تركاني كالتضيب الذابل

(٥) الأغاني (٣١ : ٣٣) « يا رشيق » (٦) الزيادة من الأغاني (٧) في زهر

الآداب (ثلثاية وخمسون ديناراً) (٨) في الأغاني (فأعطاني ثلاثمائة وخمسين ديناراً فاشتريت

بها منزلي بساباط الحسن والحسين ، فأواني إلى يومي هذا)

فاسمته اياه فقال لي : « أنت أنذل من ذلك ! ولكن ذكره بي ، فعمله أن يصلني بشيء . » قلت : أفعل ، فأشدني :

تقولُ سلا ، فمن المدنفُ ؟ ومن عينه ابدأ تذرِفُ . . ؟
ومن قلبه فلقُ خافقُ عليك ، وأحشاؤه ترجف !

فحفظت الشعر وعملت فيه لئلا . وحضرنا عند المأمون من الغد ، وكان بينه وبين بعض حظاياها هجرة ، فوجهت بتفاحة مكتوب عليها بالغالية ^(١) : « يا سيدي سلوت ؟ » وابتدأت أغني بشعر خالد . فلما غنيته اياه ، انقلبت عيناه ، ودارتا في أم رأسه ، وظهر الغضب في وجهه (و) قال : « لكم علي حرومي أصحاب أخبار . . ؟ » فقمت إعظاماً لما شاهدت منه ، وقلت : « أعيدُ امير المؤمنين بالله أن يظن بعبده هذا الظن وأنزّه ^(٢) داره ان يكون لأحد عليها صاحب خبر . . » قال : « فمن أين عرفت خبري مع جاريتي حتى غنيت لي معنى ما بيننا . . ؟ » فحدثته حديثي مع خالد ، فلما انتهيت الى قوله « أنت أنذل من ذلك » قال : أشهد أنك كذاك « وأسقر وجهه ، وقال : « ما أعجب هذا الاتفاق . . ! وأمر لي بخمسة آلاف درهم ، وغالد بثلها . »

صلاح الدين المنجد

(له بقية)

(١) ضرب من مبيونات الطبيب انظر شفاء التليل للحقابي ص ١٢٤
(٢) في الأصل [تزوه] .

(٥)